مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثامن عشر، العدد الثاني، ص٩٤٣- ص٩٧٢ يونيو ٢٠١٠
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

المسائل الصوتية في الإنصاف في مسائل الخلاف
بين النحويين البصريين والكوفيين للأنباري

د. محمد رمضان البعّ
كلية الآداب - قسم اللغة العربية
الجامعة الإسلامية – غزة - فلسطين

ملخص: يلقي البحث الضوء على دور العرب القدماء في الدراسات الصوتية من خلال كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري، حيث جاء البحث معرفاً بالمؤلف وكتابه ومنهجه، عارضاً للمسائل الصوتية المتناثرة فيه موزعة في ثلاثة مباحث:

أولها: المسائل الصوتية التي نشأت في أحضان القضايا النحوية.

ثانيها: المسائل الصوتية المسيطرة على القضايا الصرفية.

ثالثها: المسائل الصوتية الناشئة عن اختلاف القراءات في بعض القراءات القرآنية.

Verbal sound issues in fair –minded judgement in the disputed issues between Basra linguistics and those of Cufa. for Anbari

Abstract: This research aims at shedding light on the olden Arab scholars' roles in the field of phonology by focusing on Al-Anbary's book, Al-Insaf 'Equity.'

After an introduction to the author and his book, the phonological issues are investigated and classified into three main areas:

(1) syntax-phonology interface, (2) morpho-phonology interface, and (3) the phonological aspects resulting from the different recitations of the Holy Qur'an.

المقدمة:

الحمد لله المنان، ذي الطول والعفو والإحسان، الذي خلق الإنس والجان، وجعل اختلاف الألسنة والألوان، الحمد لله الذي جعل العربية لغة القرآن، وخصّها بالفصاحة والبيان، والصلاة والسلام على من جاء بالهدى والتقى المبعوث رحمة للأنام، وعلى آله وصحبه الذين فدوه بالأرواح والأبدان. وبعد...

بلغت العربية أعلى مراقي التطور والتميز والثبات بين لغات الأرض على مرّ العصور، تلك اللغة التي خصّها الله وتكفل بحفظها لنزول القرآن بها، تميزت عن غيرها باتساعها وقدرتها على استيعاب كل جديد، تفردت بخصائص أصواتها فحق لها السيادة على غيرها من اللغات الأخرى، ولذلك قام كثير من العلماء اللغويين بدراسة أصوات اللغة العربية ومعرفة خصائصها منذ نشأة العلوم، ولكن لم يكن ذلك مفرداً في كتب مستقلة؛ بل تفرقت هذه الدراسات بين علوم

النحو والصرف والمعاجم، لما تميزت به الدراسات السابقة من الموسوعية والشمولية في الدراسة باعتبار اللغة العربية جسماً واحداً على اختلاف أعضائه التي لا يمكن الفصل بينها، ومن هذا المنطلق سعى الباحثُ لتتبع بعض القضايا الصوتية التي تفرقت في كتب الأقدمين فكان كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين لأبي البركات الأنباري محطّ الدرس والبحث والتقصي، عمد الباحث فيه إلى قراءة الكتاب وتتبع مسائله الخلافية ما بين نحوية وصرفية وقراءات، ليستخلص القضايا الصوتية التي نثرت بين سطوره، فقام بتبني المنهج الاستقرائي في دراسة جميع المسائل الواردة في الكتاب ثم استخلاص القضايا الصوتية منها، فقد بدأ البحث:

بالتعريف بصاحب الكتاب نشأته وحياته وثقافته ومصنفاته، ثم التعريف بالكتاب مادته ونهج كاتبه فيه، ثم عرض المسائل الصوتية فيه موزعة على ثلاثة مباحث:

- الأول المسائل الصوتية التي نشأت في أحضان القضايا النحوية.
- والثاني المسائل الصوتية التي تربعت على موائد القضايا الصرفية في الكتاب.
- الثالث وفيه بعض مسائل صوتية تولدت من اختلاف القراء في بعض القراءات.

الله أسأل أن تكشف هذه الدراسة عن مدى اهتمام العلماء القدماء بالمسائل الصوتية في لغتنا العربية، والله الموفق والمعين.

الأنباري

اسمه ولقبه:

عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد -قيل ابن أبي السعادات- بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليم الأنباري، الملقب كمال الدين أبو البركات الأنباري.(١)

نشأته وحياته:

ولد الأنباري في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وينسب إلى الأنبار، وهي بلدة قديمة على الفرات، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، وسميت الأنبار لأن كسرى كان يتخذ فيها أنابير الطعام. وقد قدم بغداد منذ صباه وسكن بها حتى توفي.(٢)

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان ؛ تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٠، مج٣، ص١٣٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي ؛ تحقيق: محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، مج٢، ص٨٦.

(٢) الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: جلال الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ط٥/ج٢، ص٢٣٧.

تفقه على المذهب الشافعي في المدرسة النظامية، قرأ النحو واللغة، وبرع في الأدب حتى صار شيخ وقته، تصدَّر لتدريس النحو مدة من الزمن في المدرسة النظامية، ثم انقطع في منزله مشتغلاً بالعلم والعبادة، أقرأ الناس العلم على طريقة سديدة، وسيرة جميلة من الورع والمجاهدة والنسك وترك الدنيا ومحاسنة أهلها، اشتهرت تصانيفه، وظهرت مؤلفاته، وتردد الطلبة عليه، وأخذوا عنه، واستفادوا منه، وكان مقيماً برباط شرقي بغداد في الخاتونية الخارجية، عمل معيداً في المدرسة النظامية، وكان يعقد مجلس الوعظ.(١)

شيوخه:

لم يكن بالعالم أن يرتقي درجات العلم والتفنن فيه والمهر به ما لم يلازمه أئمته وراياته من العلماء الذين تتفتق على أيديهم عقول الطلاب ليسيروا على نهجهم من بعدهم ويحملوا شموع العلم ليضيئوها في سماء الناس من بعد، فكان الأنباري ممن علم قيمة العلماء فلزمهم وأخذ عنهم. تعلم الأنباري الفقه على يد شيخه سعيد بن الرزاز حتى برع(٢)، ثم قرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي، ولازم أبا السعادات ابن الشجري حتى برع.(٣) وأخذ الحديث عن أبي نصر أحمد بن نظام الملك، وأبي البركات الأنماطي، وابن خيرون، وأخذ أيضاً عن خليفة المؤدب.(٤)

تلاميذه:

اشتهر الأنباري بعلمه وورعه وزهده، فلزمه كثير من طلاب العلم ينهلون من معينه العذب وهم كثر، وقد استفادوا منه وبرعوا حتى أصبحوا علماء، منهم عبد الغفار الأعلمي، والجمال محمد بن أبي الفتح العتابي النحوي، وأبو بكر الحازمي الهمذاني، وأبو الحسن الحلي المقرئ، وعبد الإله بن أحمد الخباز، وخزعل بن عسكر بن خليل المصري، وأبو الحسن الخطيبي، وأبو الخير النحوي، وابن الدبيثي بن يحيى الواسطي الشافعي، وابن الدهان، وابن دواس القنا الشاعر

---

(١) تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإعلام: شمس الدين الذهبي؛ تحقيق:عمر تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٩٨، حوادث ووفيات ٥٧١-٥٨٠، ط٢، ص٢٣٩.

(٢) فوات الوفيات: محمد الكتبي ؛تحقيق :علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت،٢٠٠٠، ط١، ج١، ص٦٣٥.

(٣) إنباه الرواة على أنباء النحاة: جمال الدين القفطي ؛ تحقيق: محمد إبراهيم، مج٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦، ص٨٦.

(٤) البلغة :في الفرق بين المذكر والمؤنث: أبو البركات الأنباري ؛تحقيق :رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦، ط٢، ص١٠ ، فوات الوفيات ٦٣٥/١

المعروف، وابن راجح المقدسي الحنبلي، وعلي السنجاري، والعنبري، والفخر الموصلي، وأبو الفضل المظفر، والقيلوي، والماكسيني، وأبو محمد بن أبي البركات الأنباري -ابنه-.(١)

أخلاقه:

عرف كمال الدين الأنباري بأنه المفتن الزاهد الورع، كان إماماً ثقة صدوقاً، فقيهاً مناظراً، غزير العلم، ورعاً، عفيفاً، لا يقبل من أحد شيئاً، خشن العيش والمأكل؛ لم يلتبس من الدنيا بشيء.(٢)

قال الموفق عبد اللطيف: "أما شيخنا كمال الدين الأنباري فلم أرَ في العباد والمنقطعين مثله في طريقه، ولا أصدق منه في أسلوبه، خير محض، لا يعتريه تصنع، ولا يعرف الشرور ولا أحوال العالم. وكان له من أبيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار أجرتهما نصف دينار في الشهر ينتفع به ويشتري منه ورقاً".(٣) وسير إليه المستضيء خمسمائة دينار فردها، فقالوا له: اجعلها لولدك فقال: إن كنت خلقته فأنا أرزقه.(٤)

وكان لا يوقد عليه ضوء، وتحته حصير قصب، وعليه ثوب وعمامة من قطن يلبسهما يوم الجمعة. وكان لا يخرج إلا للجمعة، ويلبس في بيته ثوباً خلقاً. وكان ممن قعد في الخلوة عند الشيخ أبي النجيب.(٥)

ثقافته:

عاش الأنباري في عصر يشعُّ ازدهاراً وتطوراً علمياً وفكرياً، والمُطَّلِع على مصنفاته يلحظ مدى ثقافته الواسعة التي امتلكها، فقد ألمّ بمعظم فنون العربية التي عرفت في القرن السادس الهجري، وبسبب انتشار المدارس فكانت المدرسة النظامية التي نهل من علوم شيوخها، وشيوخه الأفذاذ الذين أمدوه بفيض من علومهم، فكانت ثقافته دينية بالدرجة الأولى، درس الحديث والتفسير

---

(١) البلغة :ص١٤- ١٧ ، فوات الوفيات ٦٥٣/١.

(٢) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة :جلال الدين السيوطي؛ تحقيق :محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ج٢،ص٨٦. فوات الوفيات :ج١، ص٦٣٥. :البداية والنهاية :ابن كثير؛ عناية :عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، مج٨، ص٥١١.

(٣) تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإعلام : شمس الدين الذهبي؛ تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٩٨، حوادث ووفيات ٥١٧-٥٨٠، ط٢،ص٢٣٩.

(٤) تاريخ الإسلام :ص٢٣٩.

(٥) تاريخ الإسلام :ص٢٣٩.

والفقه وأصوله، وتعمّق في المذهب الشافعي، ثم اكتسب الثقافة في اللغة العربية فدرس اللغة والأدب والنحو، ولم يقف عند هذين المجالين؛ بل تخطاهما إلى التاريخ والتربية والأخلاق.[١]

مؤلفاته:

صنّف الشيخ مائة وثلاثين مصنفاً أكثرها نحو وبعضها في الفقه والأصول والتصوف والزهد، يمكن تصنيفها على النحو الآتي:[٢]

أولاً: مؤلفاته الدينية

١. مؤلفاته في الفقه: ومنها هداية الذاهب في معرفة المذاهب، وبداية الهداية.
٢. مؤلفاته في علم الكلام: أي أصول الدين، ومنها الداعي إلى الإسلام في أصول علم الكلام، والنور اللائح في اعتقاد السلف الصالح، ومنثور العقود في تجريد الحدود، واللباب.
٣. مؤلفاته في الخلاف الفقهي: وفيها عرض الخلاف بين المذاهب الفقهية منها: التنقيح في مسائل الترجيح بين الشافعي وأبي حنيفة، والجمل في علم الجدل، والاختصار في الكلام على ألفاظ تدور بين النظار، وعدة السؤال في عمدة السؤال.
٤. مؤلفاته في التصوف والزهد: مثل كتاب أصول الفصول في التصوف.

ثانياً: مؤلفاته في العربية

١.مؤلفاته في اللغة: وهي كثيرة منها: الأسمى في شرح الأسما، وحلية العقود في الفرق بين المقصور والممدود، وزينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، وقبسة الأديب في أسماء الذيب، الفائق في أسماء المائق، وعمدة الأدباء في معرفة ما يكتب بالألف والياء.

٢.مؤلفاته في الأدب: ومنها تفسير غريب المقامات الحريرية، وشرح ديوان المتنبي، وشرح الحماسة، والمرتجل في شرح السبع الطوال، والإشارة في شرح المقصورة، وشرح بانت سعاد.

٣.مؤلفاته في النحو: وفيها تعرض الأنباري لمعظم موضوعات النحو في شتى ميادينه، ومنها: الإغراب في جدل الإعراب، والإنصاف في مسائل الخلاف، وأسرار العربية، وجزء من لمع الأدلة، والبيان في غريب إعراب القرآن، وعقود الإعراب، وحواشي الإيضاح، ومنثور الفوائد، ومفتاح المذاكرة، وكتاب كلا وكلتا، وكتاب لو، وكتاب ما، وكتاب كيف، وكتاب الألف واللام،

---

(١) أصول النحو دراسة في فكر الأنباري :محمد صالح، دار السلام، مصر، ٢٠٠٦،ط١،ص١٩.

(٢) أصول النحو: ص٢٢. البلغة :ص٢٣-٤١. بغية الوعاة: ج٢، ص٨٧. فوات الوفيات :مج٢، ص٢٩٣.

وكتاب حلية العربية، وشفاء السائل إلى بيان رتبة الفاعل، والمعتبر في الوصف بين الوصف والخبر، ورتبة الإنسانية في المسائل الخرسانية، وميزان العربية.

٤.مؤلفاته في الصرف: ومن أشهرها كتاب الوجيز في علم الصرف.

٥.مؤلفاته في العروض: مثل المقبوض في علم العروض، وبسط المقبوض في علم العروض، والموجز في القوافي.

٦.مؤلفاته في البلاغة والبديع: مثل اللمعة في صناعة الشعر.

ثالثاً: مؤلفاته في التاريخ والسير

وأشهرها نزهة الألباء في طبقات الأدباء، والجوهرة في نسب النبي **r** وأصحابه العشرة، وتاريخ الأنبار.

رابعاً: مؤلفاته في الوعظ

ومنها نكت المجالس في الوعظ، ونقد الوقت، وبغية الوارد، والتفريد في كلمة التوحيد.

خامساً: مؤلفاته في علم الرؤيا

ومنها كتاب نسمة العبير في التعبير.

شعره:

نظم الأنباري بعض القصائد الشعرية ومنها قوله[١]:

دعِ الفؤادَ بما فيهِ من الخَـــرَقِ … ليسَ التَّصَوُّفُ بالتلبيسِ والخِرَقِ
بل التصوفُ صفوُ القلبِ من كدرٍ … ورؤيةُ الصُوفيةِ أعظَم الخرق
وصبرُ النفسِ على أذى مطامعِها … وعن مطامعِها في الخَلقِ بالخَلقِ
وتركُ دعوى بمعنى فيهِ حقته … فكيف دعوى بلا معنى ولا خلقِ

يقول أيضاً[٢]:

العلمُ أوفى حليةٍ ولباسِ … والعقلُ أوقى جنةِ الأكياسِ
كنْ طالباً للعلمِ تحيَ فإنما … جهلُ الفتى كالموتِ في الأرماسِ
وصنِ العلومَ عن المطامعِ كلِّها … لترى بأن العِزِّ عزُّ الياسِ
والعلمُ ثوبُ العفافِ طرازُهُ … ومطامعُ الإنسانِ كالأدناسِ
العلمُ نورٌ يُهتدى بضيائهِ … وبهِ يسودُ الناسُ فوقَ الناس

---

[١] تاريخ الإسلام: ص٢٤٠

[٢] فوات الوفيات: ص٢٩٤.

وفاته:

توفي كمال الدين الأنباري ليلة الجمعة التاسع من شعبان سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ودفن بباب أبرز بتربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي.(١)

الإنصاف في مسائل الخلاف

تعريف الكتاب:

ألّف الأنباري كتابه "الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين"، ويدور حول العلاقة بين النحو والفقه، ويعدّ الإنصاف أكثر شمولية وإحاطة بمسائل الخلاف بين الكوفيين والبصريين من المؤلفات الأخر، ويمتاز بخصائص عديدة منها، أنه جعل علم النحو علماً عقلياً كالفلسفة والمنطق، ذا أسلوب فريد من نوعه، سلساً في عرضه للمسائل النحوية.

والكتاب يدلل على سعة ثقافة مؤلفه، وخاصة عند الاحتجاج والمجادلة العقلية؛ مما يؤكد عند متابعة مسائله تعلقه بعلم الكلم والمنطق".(٢) فكان كتاب الإنصاف مرجعاً مهماً ومفيداً لدارسي النحو، وقد اشتهر بين طلاب العلم في العصور المختلفة بما امتاز به من سهولة الأسلوب، وحسن الشرح والتوضيح والتدعيم بالأمثلة.

سبب التأليف:

ألف الأنباري كتابه ليجمع فيه المسائل الخلافية بين نحاة البصرة والكوفة، وقد ذكر سبب تأليفه الكتاب في مقدمته تلبية لطلب المتأدبين عنده، فاسمع إليه يقول: "فإن جماعة من الفقهاء المتأدبين والأدباء المتفقهين، المشتغلين بعلم العربية، وبالمدرسة النظامية... سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً، ويشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة". وقد سار في كتابه على نهج كتاب أبو جعفر النحاس الذي وضع كتاباً في اختلاف الفقهاء البصريين والكوفيين، يقول في ترتيبه لكتابه أنه رتبه على "ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة، ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب"(٣).

(١) بغية الوعاة : ص٨٨.

(٢) أبو البركات البغدادي الأنباري أثر عصره عليه وآرائه النحوية: مجيد البديري، مجلة أهل البيت، العدد الأول، موقع أهل البيت، الجمعة ١٤-١٢-٢٠٠٧ الساعة الثالثة عصراً WWW.ahlulbaitonline.com

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: كمال الدين الأنباري ؛تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨ ط١، ج١، ص١٥

منهجه:

اتبع الأنباري في تأليف كتابه أسلوباً علمياً موضوعياً، حيث يعمد إلى ذكر المسألة الواقع فيها الاختلاف، ثم يقوم بذكر آراء النحويين فيها من المدرستين مدعمة بحججهم وشواهدهم دون تدخل منه أو نقض أو إجحاف، ثم يسرد مرجحاً أحد الرأيين، أو منفرداً عنهما في بعض المسائل، يقول: "وفتحت في ذلك الطريق، وذكرت من مذهب كل فريق ما اعتمد عليه أهل التحقيق، واعتمدت في النصرة على ما أذهب إليه من مذهب أهل الكوفة أو البصرة على سبيل الإنصاف، لا التعصب والإسراف، مستجيراً بالله، مستخيراً له فيما قصدت إليه؛ فالله تعالى ينفع به؛ إنه قريب مجيب"(١).

وقد عنون الأنباري كتابه بالإنصاف الذي اتخذه سبيلاً يسير فيه بعيداً عن التعصب والإسراف، "وجمع هذه المسائل التي كانت مبعثرة ومفرقة في كتب النحاة بأسلوب غلب عليه طابع التشويق والسهولة في أسلوب رياضي جميل"(٢).

عرض الأنباري في كتابه مائة وإحدى وعشرين مسألة من مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، واتبع في ذلك منهجاً فريداً، وصفه الأفغاني بأنه الأقرب إلى الدعوى في المحاكم؛ لأنه يسير على نهجها في مراحلها الأربع؛ إذ كان يسير في عرضه للمسألة الخلافية على أربع مراحل هي(٣):

أولاً: يسرد دعوى الكوفيين، ثم دعوى البصريين، فتتضح نقاط الخلاف جلية.

ثانياً: يدلي بحجج الكوفيين واضحة بينة، ثم يعقبها بحجج البصريين وأدلتهم.

ثالثاً: يعرض لردود كل فريق على حجج الفريق الآخر.

رابعاً: مرحلة الحكم ولكنها غير مطردة في كل المسائل؛ إذ كان يكتفي في كثير من المسائل بتبني ردود البصريين على حجج الكوفيين كحكم له على المسألة، وإن نصر الكوفيين في مسائل قليلة.

المسائل الصوتية

يعدّ كتاب الإنصاف من المراجع المهمة في كثير من المسائل النحوية واللغوية، غير أنه لم يخلُ من المسائل الصوتية في اللغة، وإن لم يعرها الاهتمام، ولم تحظَ بما حظيت به المسائل

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ج١، ص١٥ .

(٢) دراسات في النحو العربي: محمود أبو كته، جامعة بيت لحم، فلسطين، ١٩٨٧، ط١، ص١١٤.

(٣) دراسات في النحو: ص ١١٤.

النحوية والصرفية من الشمول والإلمام، بل انتثرت بين السطور، واكتفى في شرحها بالقشور، فلم تلقَ مجالًا للظهور.

ورغم هذا الإجحاف بحق المسائل الصوتية إلا أنها بما تميزت به من أهمية كبيرة في حياة اللغويين وفكرهم؛ فهي الأساس المتين الذي تُبنى عليه قواعدهم، لأنها استطاعت أن تشق طريقها لتجد لها مكاناً على صفحات الإنصاف موزعة بين المسائل النحوية والصرفية والقراءات، وسنعرض لتلك المسائل في الصفحات الآتية:

أولاً: المسائل الصوتية النحوية:

غلبت القضايا النحوية على مسائل الإنصاف حتى أخذت النصيب الأكبر منه؛ إلا أنها في كثرتها قد حوت الكثير من القضايا الصوتية التي تضمنتها في مجمل حديث الأنباري عن تلك المسائل. وقد كانت القضايا الصوتية كالآتي:

١- إشباع الحركات

ذكر الأنباري فيما ذكره من الاختلاف في إعراب الأسماء الستة اختلاف البصريين والكوفيين في الألف والواو والياء، حيث ذهب البصريون إلى أنها حروف إعراب ووافقهم الأخفش، إلا أنه في قول آخر ذكر بأنها دلائل إعراب وليست حروف إعراب، فهي دلائل إعراب كالواو والألف والياء في التثنية والجمع. وقد ذكر ذلك أيضاً في إعراب المثنى، بينما ذكر أبو عثمان المازني أن الواو والألف والياء إنما نشأت عن إشباع الحركات وليست بحروف إعراب.[١] ومن الأدلة الشعرية على ذلك:

يقول الشاعر من البسيط:[٢]

اللهُ يعلمُ أنا في تلفُتِنَا ... يومَ الفراقِ إلى إخوانِنَا صورُ

وأنَّني حيثُما يُثْني الهَوى بصرِي ... مِنْ حيثُما سَلَكوا أدنو فأنظورُ

فهنا أشبع الضم في "أنظور" فنشأت الواو.

ومن أمثلة إشباع الفتحة يقول الشاعر من الوافر:[٣]

وأنتَ منَ الغوائلِ حينَ ترمي ... ومنْ ذمِّ الرجالِ بِمُنْتَزاحِ

وأراد ب"منتزاح " منتزح فأشبع الفتحة فنشأت ألفاً.

---

(١) الإنصاف: ٢٤/١.

(٢) الإنصاف: ٢٨/١.

(٣) الإنصاف: ٣٠/١

ومن إشباع الكسر يقول الشاعر من البسيط:[١]

تنفي يدها الحصى من كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

فالدراهيم، والصياريف هي الدراهم والصيارف؛ وإنما أشبعت الكسرة فنشأت عنها ياء. وغير ذلك كثير في شواهد العرب وكلامهم كما قال.[٢]

وناقش كذلك مد المقصور قياساً بناءً على قاعدة ضرورة الشعر في إشباع الحركات رغم رفض البصريين لذلك، وتقييد الفراء له بشروط خاصة رفضها الأنباري، واستدل الكوفيون بمثل:

إنما الفقر والغناء من الله فهذا يعطي وهذا يحد

فمد الغناء وهو مقصور فدل على جوازه.

واعتبر أن ضرورة الشعر في إجازة إشباع الفتحة قبل الألف المقصورة ليلتحق بالممدود مرفوض عنده؛ لأن إشباع الحركات هناك يؤدي إلى تغيير واحد وهو زيادة هذه الحروف فقط، وأما في مد المقصور فإنه يؤدي إلى تغييرين زيادة الألف الأولى وقلب الثانية همزة، وليس من ضرورة أن يجوز ما يؤدي إلى تغيير واحد أن يجوز ما يؤدي إلى تغييرين أو أكثر في ذلك.[٣]

فالقضية الصوتية التي تعرض لها الأنباري هي القول في حروف المد الواو والألف والياء، هل هي حروف أم حركات، وهو ما اختلف فيه علماء المدرستين، وقد ردّ الأنباري هذا القول واتهمه بالفساد.

٢ - النقل والقلب

ذكر الأنباري في إعراب الأسماء الستة أن الألف والواو والياء هي حركات إعراب نشأت بنقل وقلب، فيقول: "ذهب علي بن عيسى الربعي إلى أنها –الأسماء الستة– إذا كانت مرفوعة ففيها نقل بلا قلب، وإذا كانت منصوبة ففيها قلب بلا نقل، وإذا كانت مجرورة ففيها نقل وقلب".[٤]

ثم ذكر تفصيل ذلك فقال: "لأن الأصل في قولك (هذا أبوه)، (هذا أَبَوُهُ) فاستثقلت الضمة على الواو، فنقلت إلى ما قبلها وبقيت الواو على حالها، فكان فيه نقل بلا قلب، والأصل في قولك (رأيت أباه) (رأيت أَبَوَهُ) فتحركت الواو وانفتح ما قبلها فانقلبت ألفاً؛ فكان فيه قلب بلا نقل،

---

[١] الإنصاف: ٣٣/١.

[٢] الإنصاف: ٣٦/١ .

[٣] الإنصاف: ٧٤٥/٢-٧٥٤.

[٤] الإنصاف: ٢٤/١.

والأصل في قولك: (مررت بأبيك) و(مررت بأبوك)، فاستثقلت الكسرة على الواو، فنقلت إلى ما قبلها، فقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، فكان فيه نقل وقلب).[1]

فالملاحظ هنا أن الأنباري ذكر قضيتين صوتيتين: الأولى القلب، والثانية النقل:

أ- القلب:

وفيه ذكر بأنه تقلب حروف العلة إلى بعضها؛ فتقلب الواو ياءً والألف ياءً وواواً، وفق قواعد معينة أورد منها أنه إذا جاءت الواو ساكنة وقبلها مكسور تقلب ياءً، وقياساً على ذلك الألف إذا جاء ما قبلها مكسور تقلب ياءً، أما إذا جاء ما قبلها مضموم فإنها تقلب واواً، بينما لا يكون ذلك في الياء؛ لأنها أقوى الحركات. وقد كان الباعث لذلك استثقال الحركات غير المتكافئة.

ومما ذكره كنماذج ما ورد في مسألة القول في العامل في الاسم المرفوع قول الشاعر حيدر علي:

فما الدنيا بباقاة لحي ولا حي على الدنيا بباق

قوله بباقاة أراد بباقية؛ فأبدل من الكسرة فتحة فانقلبت الياء ألفاً، وهي لغة طيئ.[2]

وقد قال الله تعالى: **[ومهيمناً عليه]** قيل أصله مؤيمن فقلبت الهمزة هاء[3]. وينقل رأي الكوفيين في مسألة كلا وكلتا فيقول: الدليل على أنها ألف التثنية أنها تنقلب إلى الياء في النصب والجر إذا أضيفتا إلى المضمر، وذلك نحو قولك رأيت الرجلين كليهما ومررت بالرجلين كليهما ورأيت المرأتين كلتيهما ومررت بالمرأتين كلتيهما، ولو كانت الألف في آخرهما كالألف في آخر عصا ورحا لم تنقلب كما لم تنقلب ألفهما نحو رأيت عصاهما ورحاهما ومرزن بعصاهما رحاهما، فلما انقلبت الألف فيهما انقلاب ألف الزيدان والعمران دل على أن تثنيتهما لفظية ومعنوية[4].

ب- النقل:

وهو نقل الحركات من حرف إلى حرف آخر؛ حيث نقلت الضمة من الواو إلى ما قبلها في (أبوُه)، وكذلك الكسرة في (أبوه)، ولا يؤثر ذلك على مبنى الكلمة أو معناها وإن كان أدعى للتخفيف وخلوصاً من استثقال النطق.

---

(1) الإنصاف: ٢٨/١.

(2) الإنصاف: ٧٥/١

(3) الإنصاف: ٢١٦/١

(4) الإنصاف: ٤٤١/٢-٤٥٠.

• الحركات

عرف الأنباري الحركات نقلاً عن الكوفيين في مجمل حديثه عن إعراب الأسماء الستة؛ بأن الفتحة والضمة والكسرة هي حركات إعراب؛ فالضمة علامة الرفع، والفتحة علامة النصب، والكسرة علامة الجر.[1]

وفي التفريق بين هذه الحركات ذكر الأنباري أن الفتحة أخف الحركات؛ لذا يكثر البناء على الفتح. يقول في بناء (الآن): "صار معنى قولك: (الآن)، كقولك: (هذا الوقت) فشابه اسم الإشارة، واسم الإشارة مبني؛ فكذلك ما أشبهه، وكان الأصل فيه أن يبنى على السكون إلا أنه بني على حركة لالتقاء الساكنين، وكانت الفتحة أولى لوجهين: أحدهما: أنها أخف الحركات وأشكلها بالألف والفتحة التي قبلها فأتبعوها الألف والفتحة التي قبلها كما أتبعوا ضمة الذال التي في (مُنذُ) ضمة الميم، وإن كان حق الذال أن تكسر لالتقاء الساكنين"[2].

عرض الأنباري في كلامه السابق عدة مسائل صوتية عارضة؛ لم يتناولها بالتفصيل وهي:

١) الفتحة والضمة والكسرة: هي حركات وعلامات لإعراب تدل عليه.

٢) التخلص من التقاء ساكنين بالتحريك: إذ الأصل في العربية ألا يلتقي ساكنان، فهو عندما ذكر أن (الآن) تبنى لأنها شابهت (هذا) اسم الإشارة، وجب أن تبنى على السكون إلا أنها بنيت على الفتح كي لا يلتقي ساكنان، وبذلك يمنع التقاء ساكنين في العربية لصعوبة النطق بهما متتاليين، وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال: "والأصل في قاضون ورامون قاضيون، وراميون فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت الضمة عنها؛ فبقيت الياء ساكنة وواو الجمع ساكنة، فاجتمع ساكنان، وساكنان لا يجتمعان؛ فحذفت الياء لالتقاء الساكنين وإن كانت أصلية لعلة عارضة".[3]

٣) تفاوت الحركات: ذكر الأنباري -كما قلنا- إن الفتحة هي أخف الحركات؛ لذا يكثر البناء على الفتح، لسهولة النطق بها.

٤)تجانس الحركات: وفيه يتم تحريك الساكن فيما كان أمره البناء بحركة مجانسة للحركة السابقة لها، لسهولة النطق بها من مخرج واحد، وعدم التكلف بالانتقال من مخرج إلى مخرج، وقد ذكر في موضع آخر أن العرب تلجأ إلى ذلك هرباً من الثقل يقول: "الأصل -عند الكوفيين- في همزة الوصل أن تكون ساكنة، وإنما حركت لالتقاء الساكنين. وذهب البصريون إلى أن الأصل

---

(١) الإنصاف: ٢٦/١.

(٢) الإنصاف:٥٧/٢.

(٣) الإنصاف: ١٩٢/٢.

في همزة الوصل أن تكون متحركة مكسورة، وإنما تُضم في (ادخل) ونحوه لئلا يخرج الناطق من كسر إلى ضم؛ لأن ذلك مستثقل؛ ولهذا ليس في كلامهم شيء على وزن (فِعُلٍ) بكسر الفاء وضم العين". (١)

٥)إلا أنك تجد ما ذكره الأنباري من البناء على الفتح أكثر؛ لأنه أخف الحركات ينقض بعد ذلك؛ إذ يعلل يناء أي على الضم لأن الضم أقوى الحركات.(٢) فهو بذلك وضع معيارين للبناء: أحدهما البناء على الفتح لأنه أخف الحركات، والثاني البناء على الضم لأنه أقوى الحركات.

٣- الإمالة

في ثنايا حديث الأنباري عن (إما) ذكر الإمالة فقال: "يدل على أنها صارت عوضاً عن الفعل أنه يجوز إمالتها، فيقال: (إمالا) بالإمالة وأمالوا (بلى) و(يا) في النداء، فلو لم تكن كافية من الفعل وإلا لما جازت إمالتها؛ لأن الأصل في الحروف أن لا تدخلها الإمالة، فلما جازت إمالتها ها هنا دل على أنها كافية من الفعل".(٣)

وقد وضع الأنباري شروطاً للإمالة فذكر أنها تكون من الكسر والياء، يقول في ذلك: "(العجاج) و(الحجاج) بإمالة الألف وإن كان قياسها أن لا تمال؛ لعدم شرط الإمالة من الياء والكسرة".(٤)

وذكر أيضاً أنه لا يجوز الإمالة في ألف التثنية ودليل ذلك قوله: "والذي يدل على أن الألف فيهما - كلا وكلتا- ليست للتثنية أنها تجوز إمالتها، قال الله تعالى: [إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا](٥). وقوله: [كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا](٦). قرأهما حمزة والكسائي وخلف بإمالة الألف فيهما، ولو كانت الألف فيهما للتثنية لما جازت إمالتها؛ لأن ألف التثنية لا تجوز إمالتها".(٧)

فلو تتبعت كلامه لوجدته يذكر الإمالة بلا تعريف أو تفصيل لماهيتها؛ بل يذكرها ذكراً عارضاً، ثم يكتفي بأن يذكر أنه يشترط لها أن تكون في الياء أو الكسرة؛ رغم أن الإمالة لا تكون إلا في

---

(١) الإنصاف: ٢٣٩/٢.

(٢) الإنصاف: ٢٢٠/٢.

(٣) الإنصاف: ١٧٥.

(٤) الإنصاف: ٣٧٢/١.

(5) الإسراء:٢٣.

(6) الكهف:٣٣.

(٧) الإنصاف: ٣٩٩/١.

الألف فتصبح قريبة من الياء، وإنما يكون ذلك مع الياء لقرب المخرج وسهولته وعدم الحاجة إلى الجهد في التحول من مخرج الألف إلى الياء، كما يتم ذلك في الانتقال إلى الضم.

ثم ذكر أيضاً أن الإمالة لا تكون في الحروف، وتكون في الأفعال، وقياساً على الأفعال فإنها تجوز في الأسماء، ولكنه لم يذكر سبب منعها من الحروف.

٤ - التسكين

قال الأنباري بأن العرب تفرّ من التقاء أربع حركات متواليات في الكلمة بالتسكين؛ وهو أن تسكن إحدى هذه الحركات المتوالية، يقول: "يُسكن لام الفعل إذا اتصل به ضمير الفاعل، نحو (ضربت)، و(ذهبت) لئلا يجتمع في كلامهم أربع حركات متواليات في كلمة واحدة".(١)

٥ - الحذف لالتقاء الساكنين

يقول الأنباري في استعراضه لدليل حذف التاء الأصلية وليس المضارعة في نحو (تتناول وتتلون): "... والذي يدلّ على صحة هذا ثبوت التنوين في المنقوص والمقصور وحذف حرف العلة منهما لالتقاء الساكنين وإن كان أصلياً فيهما، ألا ترى أنك تقول في المنقوص (هذا قاضٍ ومررت بقاضٍ) والأصل فيه (هذا قاضيٌ، ومررت بقاضيٍ) إلا أنهم لما حذفوا الضمة والكسرة استثقالاً لهما على الياء بقيت الياء ساكنة والتنوين ساكناً، فحذفوا الياء لالتقاء الساكنين وأبقوا التنوين؛ لأن الياء ما جاءت لمعنى، والتنوين جاء لمعنى فكان تبقيته أولى، فكذلك أيضاً تقول في المقصور: (هذه رحاً وعصاً) والأصل فيه (رحيٌ وعصوٌ) فلما تحركت الياء والواو وانفتح ما قبلهما قلبوهما ألفاً لتحركهما وانفتاح ما قبلهما، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين وبقي التنوين بعدها؛ لأن الألف ما جاءت لمعنى والتنوين جاء لمعنى فكان تبقيته أولى فكذلك هاهنا"(٢).

٦ - الوقف الذي ليس في القراءات

- تاء التأنيث في نهاية الكلمة

مما نقله الأنباري عن البصريين في الدلالة على أن (نعم، بئس) فعلان "اتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التي لا يقلبها أحد من العرب في الوقف هاء كما قلبوها في نحو رحمة وسنة وشجرة، وذلك قولهم نعمت المرأة وبئست الجارية؛ لأن هذه التاء يختص بها الفعل الماضي لا تتعداه فلا

---

(١) الإنصاف: ٨٢/١.

(٢) الإنصاف: ٦٤٩/٢.

يجوز الحكم باسمية ما اتصلت به"[١]، وهذا الرأي برغم انتقاده بأنها قد تدخل على بعض الحروف.

- زيادة هاء الوقف

يقول الأنباري في التفريق بين كم ولم: "وأن يجوز فيها هاء الوقف فيقال كمه كما يجوز في لم هاء الوقف فيقال لمه، فلما لم يجز ذلك دل على الفرق بينهما"[٢].

- سقوط حركة ميم ايمن الله في الوقف

يذكر الأنباري أن في (ايمن الله) لغات منها أم الله ومن الدلالة على أن همزتها وصل: "... أن حركة الميم حركة إعراب وليست لازمة وتسقط في الوقف فلذلك ثبتت همزة الوصل"[٣].

- هل يوقف بنقل الحركة على المنصوب المحلي بأل الساكن ما قبل آخره

"ذهب الكوفيون إلى أنه يجوز أن يقال في الوقف (رأيت البَكَرْ) بفتح الكاف في حالة النصب، وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز.

وأجمعوا على أنه يجوز أن يقال في حالة الرفع والجر بالضم والكسر فيقال في الرفع (هذا البكُرْ) بالضم وفي الجر مررت (بالبَكِرْ) بالكسر، واحتجوا بقول الشاعر: (أنا ابن ماوية إذ جد النَّقُر...)"[٤].

ثانياً: المسائل الصوتية الصرفية

ارتبطت المسائل الصرفية التي عالجها الأنباري في كتابه ارتباطاً وثيقاً بالمسائل الصوتية فهي الأقرب لها من النحو، رغم أن المسائل الصرفية في الكتاب لم تأخذ حظاً وافراً من الكتاب كما حازت المسائل النحوية، ذلك أن الاهتمام من قبل الأنباري كان نحوياً؛ إذ تكثر مسائل الخلاف فيه بينما تقلّ مع المسائل الصرفية، ورغم ذلك تجد بعض القضايا الصوتية تتوزع بشكل غير مباشر بين سطور المسائل الصرفية وقد كانت كالآتي:

١ - الحذف

ذكر الأنباري في مستهل كتابه قضية صرفية، تحدث فيها عن اختلاف البصريين والكوفيين في اشتقاق الاسم، حيث احتج البصريون بأنها مشتقة من السمو وهو العلو، فالاسم يعلو على مسماه، واحتج الكوفيون بأنها مشتقة من الوسم الذي هو العلامة؛ فالاسم علامة على مسماه، وفي

---

[١] الإنصاف: ١٠٤/١.

[٢] الإنصاف: ٣٠١/١.

[٣] الإنصاف: ٤٠٩/١.

[٤] الإنصاف: ٧٣١/٢.

هذه النقطة تطرق الأنباري لقضية صوتية صرفية ألا وهي الحذف، وفيه يقول: "الأصل في (اسم) و(سَمْ) إلا أنه حذفت منه الفاء التي هي الواو في (وسم) وزيدت الهمزة في أوله عوضاً عن المحذوف، ووزنه (إعْلٌ)؛ لحذف الفاء منه".[١]

فقد ذكر الحذف الصوتي لبعض مباني الكلمة مما أدى إلى تغير الوزن الصرفي لها، وقد ذكر القضية نفسها في قوله: "والأصل فيه (سِمْوٌ) على وزن (فِعْلٌ) بكسر الفاء وسكون العين، فحذفت اللام التي هي الواو وجعلت الهمزة عوضاً عنها، ووزنه (إفْعٌ)؛ لحذف اللام منه".[٢]

ومنه أيضاً ما أفرده الأنباري من مسألة صوتية كانت محلاً للخلاف بين البصريين والكوفيين في صرفيتها، وهي واو الفعل المعتل الفاء عند المضارعة؛ فذكر اختلافهما في علة حذفها، إذ يحذفها البصريون لوقوعها بين ياء وكسرة، بينما حذفها الكوفيون للفرق بين الفعل اللازم والمتعدي.

واحتج البصريون لرأيهم بأن اجتماع الياء والواو والكسرة مستثقل في كلامهم، فلما اجتمعت هذه الثلاثة أشياء المستنكرة التي توجب ثقلاً أوجب أن يحذفوا واحداً منها طلباً للتخفيف، فحذفوا الواو ليخف أمر الاستثقال، وقد وافق الأنباري رأيهم في ذلك فقال: "إن الواو والياء إذا اجتمعتا وكانا على صفة يمكن أن تدغم إحداها في الأخرى قلبت الواو في الياء، نحو (سيد) و(ميت) كراهية لاجتماع المثلين، وإذا اجتمع ها هنا ثلاثة أمثال، الياء والواو والكسرة، ولم يمكن الإدغام لأن الأول متحرك ومن شروط المدغم أن يكون ساكناً، فلم يكن التخفيف بالإدغام وجب التخفيف بالحذف، فقيل: (يَعِدُ) و(يَزِنُ) وحملوا (أعد) و(نعد) على بعد لئلا تختلف طرق تصاريف الكلمة، ودليل صحة ذلك أن (يَوْجِلُ) و (يَوْحل) لم تحذف واوها لأن عين الفعل مفتوحة، فلم تقع الواو بين ياء وكسرة".[٣]

"وكذلك قالوا أكرم والأصل فيه أأكرم فحذفوا إحدى الهمزتين استثقالا لاجتماعهما وقالوا نكرم وتكرم ويكرم والأصل فيها نؤكرم وتؤكرم ويؤكرم كما قال الشاعر:

(فإنه أهل لأن يؤكرما...)

فحذفوا الهمزة وإن لم يجتمع فيها همزتان حملا على أكرم ليجرى الباب على سنن واحد"[٤].

---

[١] الإنصاف: ١٧/١.

[٢] الإنصاف :١٨/١.

[٣] الإنصاف :٢٧٥/٢.

[٤] شرح ابن عقيل: بهاء الدين العقيلي المصري الهمذاني، دار الفكر، دمشق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، ١٩٨٥،٤\٣١٤ .

ومن الحذف أيضاً ذكر أنه تحذف تاء التأنيث المتحركة من الاسم عند الجمع، وذلك لئلا تجتمع علامتا تأنيث، يقول: "ألا ترى أنهم لا يجمعون بين علامتي تأنيث في كلمة واحده؛ نحو (مسلمات) و(صالحات)، وإن كان الأصل فيه (مسلمتات) و(صالحتات)؛ لأن كل واحدة من التاءين تدل على ما تدل عليه الأخرى من التأنيث، وتقوم مقامها، فلم يجمعوا بينهما ".(١)

ومن الحذف أيضاً ما ذكره في أن الألف في ذا والذي أصلية فيقول: "والذي يدل على أن الألف في ذا والياء في الذي أصليتان قولهم في تصغير ذا ذيا وأصله ذييا بثلاث ياءات ياءان من أصل الكلمة وياء للتصغير؛ لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها، واستثقلوا اجتماع ثلاث ياءات فحذفوا الأولى وكان حذفها أولى لأن الثانية دخلت لمعنى وهو التصغير والثالثة لو حذفت لوقعت ياء التصغير قبل الألف والألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً فكانت تتحرك وياء التصغير لا تكون إلا ساكنة ووزنه فيلي لذهاب العين منه وفي تصغير الذي اللذيا ولولا أنهما أصليتان وإلا لما انقلبت الألف في ذا ياء وأدغمت في ياء التصغير ولما ثبتت الياء في الذي في التصغير لأن التصغير يرد الأشياء إلى أصولها"(٢).

ومنه الحذف لكثرة الاستعمال فيقول: "وقال بعض العرب في كلامه وقد قيل له: منذ كم قعد فلان؟ فقال: كمنذ أخذت في حديثك، فزاد الكاف في منذ فدل على أن الكاف في كم زائدة، وقيل لبعضهم: كيف تصنعون الأقط؟ فقال: كهين أي يسير سهل، فيزيدون الكاف، فكذلك هاهنا زيدت لا والكاف على إن وحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال فصارت حرفاً واحداً، كما قالوا لن وأصلها لا أن فحذفوا الألف والهمزة لكثرة الاستعمال فصارتا حرفاً واحداً فكذلك هاهنا وبل أولى فإنه إذا جاز حذف الألف والهمزة لكثرة الاستعمال فلأن يجوز حذف الهمزة كان ذلك من طريق الأولى"(٣).

ويورد نموذجاً لحذف اللام لكثرة الاستعمال بقوله:

ألا يا صاحبي قفا لغنا   نرى العرصات أو أثر الخيام(٤)

---

(1) الإنصاف: ٢٠/١.

(٢) الإنصاف ٦٧٣/٢.

(٣) الإنصاف: ٢١٣/١.

(٤) الإنصاف: ٢٢٥/١.

رعن وعن وغن ولغل وغل فلما كثرت هذه الكلمة في استعمالهم حذفوا اللام لكثرة الاستعمال، وكان حذف اللام أولى من العين وإن كان أبعد من الطرف؛ لأنه لو حذف العين لأدى ذلك إلى اجتماع ثلاث لامات فيؤدي ذلك إلى الاستثقال لأجل اجتماع الأمثال"(١).

فالملاحظ هنا أن الحذف الذي ذكره الأنباري قد اشتمل عدة قضايا صوتية هي:

١-الحذف للتخفيف: إذ يقومون بحذف الألف أو الياء أو الواو إذا وقعت بين حركتين يستثقل الانتقال بينهما، وذلك طلباً للتخفيف، وغالباً يكون إذا وقعت إحدى حروف المد بين حرف مد واو أو ياء وكسرة أو ضمة متعاكستين؛ لصعوبة الانتقال بالنطق لاختلاف المخرج، بينما لا يتم الحذف مع الفتحة؛ لأن الفتحة أخف الحركات ويسهل معها الانتقال من مخرج آخر إليها.

٢-الإدغام: وقد عرض له الأنباري وذكر أن الإدغام بأن تدخل الحرف في مثيله، ثم ذكر شرطه وهو وجوب أن يكون الأول منهما ساكناً.

٣-مشابهة التاء المتحركة بالألف والواو والياء: وإن لم يذكر الأنباري ذلك صراحة؛ إلا أن حديثه عن جواز حذف التاء المتحركة من نهاية الكلمة عند الجمع –كما ذكرنا- أن التاء الدالة على الجمع قد تعوض عنها فيجوز بذلك حذفها والاستغناء عنها، وهذا يشابهها بالألف والواو والياء ذلك أن الحذف يختص بها دون غيرها من الحروف.

٦) التعويض

التعويض الصوتي هو التعويض عن صوت محذوف من بنية الكلمة بهمزة أو هاء، في أصل الاسم هل هو من الوسم أم السمو، ذكر الأنباري رداً على الكوفيين الذين احتجوا بأن الاسم من الوسم وقد حذفت الواو وعوض عنها بهمزة فقال بأن كلامهم فاسد؛ لأن حذف فاء الكلمة يعوض عنه بهاء في آخرها مثل وعد، قالوا عدة مستدلاً في ذلك بأن القياس فيما حذف منه لامه أن يعوض بالهمزة في أوله، أما ما حذفت فاؤه فإنه يعوض بهاء في آخره، يقول: "إنا أجمعنا على أن الهمزة في همزة التعويض، وهمزة التعويض إنما تقع تعويضاً عن حذف اللام لا عن الفاء، ألا ترى أنهم لما حذفوا اللام التي هي الواو من (بَنَو) عوضوا عنها الهمزة في أوله فلم يقولوا: (إعدٌ) وإنما عوضوا عنها الهاء في آخره فقالوا: (عِدةٌ)؛ لأن القياس فيما حذف منه لامه أن يعوض بالهاء في آخره، والذي يدل على صحة ذلك أنه لا يوجد في كلامهم ما حذف فاؤه وعوض بالهمزة في أوله، كما لا يوجد في كلامهم ما حذف لامه وعوض بالهاء في آخره، فلما وجدنا في أوله (اسم) همزة التعويض علمنا أنه محذوف اللام، لا محذوف الفاء؛ لأن حمله على

(١) الإنصاف: ٢٢٥/١.

ما له نظير أولى من حمله على ما ليس له نظير؛ فدل على أنه مشتق من السمو لا من الوسم".(١)
ومن التعويض ما نقله من قول الشاعر ذي الرمة:

وخيفاء ألقى الليث فيها ذراعه ... فسرت وساءت كل ماش ومصرم

تمشي بها الدرماء تسحب قصبها ... كأن بطن حبلى ذات أو نين متئم(٢)

فيمن روى بالرفع ومن روى بالجر جعل أن زائدة، ومن روى بالنصب أعملها مع التخفيف.
ومن كلامهم أول ما أقول أن بسم الله كأنهم قالوا أنه بسم الله وقال تعالى: [أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا] كأنه قال أنه لا يرجع إليهم قولاً، إلا أنها لا تخفف مع الفعل إلا مع أحد أربعة أحرف وهي: لا وقد وسوف والسين، كقوله تعالى: [عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ]، وكذلك علمت أن سوف يخرج زيد وعلمت أن قد خرج عمرو قال أبو صخر الهذلي:

فتعلمي أن قد كلفت بكم ... ثم افعلي ما شئت عن علم

ولا تخفف من غير واحد من هذه الأحرف؛ لأنهم جعلوها عوضاً مما لحق أن من التغيير، وكان التعويض مع الفعل أولى من الاسم؛ وذلك لأن أن لحقها مع الاسم ضرب واحد من التغيير وهو الحذف ولحقها مع الفعل ضربان الحذف ووقوع الفعل بعدها، فلهذا كان التعويض مع الفعل أولى من الاسم"(٣).

٧) القلب

أورد الأنباري أن الواو إذا وردت مسبوقة بكسر فإنها تقلب ياءً وجوباً، يقول: "وكان الأصل في: أسميت (أسموت)، إلا أن الواو التي هي اللام لما وقعت رابعة قلبت ياء، فكذلك هاهنا".(٤)
إلا أن الأنباري ذكر سبب قلب الواو ياء كونها وقعت رابعة، ولكن هذا ليس السبب الأصلي، فإنما علة القلب حملها على المضارع كما في قوله بعد ذلك: "وإنما وجب أن تقلب الواو ياء رابعة من هذا النحو حملاً للماضي على المضارع، والمضارع يجب أن تقلب الواو فيه ياء، نحو: (يُعلي) ،(يُدعي) و(يُسمي) والأصل فيه (يُعلِو) و(يُدْعِو) و(يُسْمِو) وإنما وجب قلبها ياء في المضارع لوقوعها ساكنة مكسوراً ما قبلها، ألا ترى أنهم قالوا: (ميقات) و(ميعاد) و(ميزان)،

---

(١) الإنصاف: ١٨/١

(٢) ديوان ذي الرمة: شرح أحمد حسن بسج، ط١، دار الكتب العلمية، ص:١٢٦.

(٣) الإنصاف: ٢٠٤/١-٢٠٥.

(٤) الإنصاف: ١٩/١

والأصل: (مِوقات) و(مِوعاد) و(مِوزان)؛ لأنه من الوقت، والوعد، والوزن؛ إلا أنه لما وقعت الواو ساكنة مكسوراً ما قبلها وجب قلبها ياء؛ فكذلك ها هنا".[١]

يتضح من كلامه أن علة الحذف في الكلمات السابقة وما شابهها هو وقوع الواو بين ياء وكسر كما في المضارع من الأفعال معتلة الفاء، وقد ذكر ذلك سابقاً، إلا أن الجديد هنا أنهم يعوضون الواو المحذوفة يقول: "وأما قلب الواو ياء في الماضي في نحو: (تغازيت) و(ترجيت) وإن لم نقلب ياء المضارع لأن الأصل في (تغازيت): (غازيت) وفي (ترجيت) (رجيت) فزيدت التاء فيهما لتدل على المطاوعة، و(غازيت) و(رجيت) يجب قلب الواو فيهما ياء في المضارع، ألا ترى أنك تقول في المضارع: (أغازي)، و(أرجي) فكذلك في الماضي، وإذا لزم هذا القلب قبل الزيادة في (غازيت أغازي)، و(رجيت أرجى) فكذلك بعد الزيادة في (تغازيت) و(ترجيت) حملاً لـ (تغازيت) على (غازيت)، و(ترجيت) على (رجيت)، مراعاة للتشاكل، وفراراً من نفرة الاختلاف".[٢]

والسبب في عدم القلب هنا أن حرف المد هو الألف، وليس واواً أو ياءً، وما قبلها كان مفتوحاً، ولم يكن مكسوراً ولا مضموماً، وبالتالي لم يصعب الانتقال من الفتحة إلى الألف لاتحادهما في المخرج فلم يضطر إلى القلب.

يقول في قلب حروف المد: "والأصل في (سَمي) (سُمَيْو)، إلا أنه لما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياء، وجعلوها ياءً مشددة كما قالوا: (سيد) و(جيد) و(هين) و(ميت) والأصل فيه (سَيود) و(جَيود) و(هَيود) و(مَيوت)؛ لأنه من (السؤدد) و(الجودة) و(الهوان)، إلا أنه لما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن قلبوا الواو ياء، وجعلوها ياء مشددة، وكذلك أيضاً قالوا: (طَوَيْتُ طياً) و(لويت لياً) و(شويت شياً) والأصل فيه: (طوياً) و(لوياً) و(شوياً) إلا أنه لما اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن، قلبوا الواو ياء، وجعلوهما ياء مشددة، وإنما وجب قلب الواو إلى ياء دون قلب الياء إلى واو لأن الياء أخف من الواو؛ فلما وجب قلب أحدهما إلى الآخر كان قلب الأثقل إلى الأخف أولى من قلب الأخف إلى الأثقل".[٣]

وقلب الواو همزة من القضايا الصوتية التي تطرق إليها الأنباري في كتابه، فذكر أن الواو إذا جاءت متطرفة بعد ألف زائدة فإنها تقلب همزة يقول: "والأصل في (أسماء) (أسماو)، إلا أنه لما

---

[١] الإنصاف: ١٩/١
[٢] الإنصاف: ٢٠/١.
[٣] الإنصاف: ٢٠/١ .

وقعت الواو طرفاً وقبلها ألف زائدة قلبت همزة كما قالوا: (سماء) و(كساء)، (رجاء) و(نجاء)، والأصل فيه (سماو) و(كساو) و (رجاو) لقولهم (سموت) و(كسوت) و(رجوت) إلا أنه لما وقعت الواو طرفاً وقبلها ألف زائدة قلبت همزة".[١]

وهذه المسألة الصرفية لا تقتصر على الواو فقط؛ بل هي مع كل حروف المد الواو والياء والألف، إذا وردت جميعها متطرفة بعد ألف زائدة تقلب همزة، ولكن اللجوء إلى قلب حرف المد همزة دليل على قرب الهمزة من هذه الأحرف، وخاصة الألف التي تسبقها في الكلمة، فإنما كان قلب الواو همزة هنا للتخلص من مستكره، ألا وهو الخروج من الألف إلى الواو وهو انتقال صعب في المخرج لبعدهما، فكانت الهمزة أقرب إلى الألف فقلبت الواو همزة، ومثلها الياء، إلا أنها في الألف تقلب همزة منعاً من التقاء المتماثلين اللذين لا يدغمان في بعضهما وذلك أن كليهما ساكن؛ فالسكون في الألف سكون محض، لذا تقلب الألف المتطرفة منهما همزة.

وقد نقل الأنباري تفسيراً آخر لقلب الواو همزة في أسماء، فقال: "ومنهم من قال: إنما قلبت ألفاً لأن الألف التي قبلها لما كانت ساكنة خفيفة زائدة – والحرف الساكن حاجز غير حصين – لم يعتدوا بها فقدروا أن الفتحة التي قبل الألف قد وليت الواو وهي متحركة، والواو متى تحركت وانفتح ما قبلها وجب أن تقلب ألفاً، ألا ترى أنهم قالوا: (سما) و(علا) و (دعا) و (غزا) والأصل فيها (سمو) و(علو) و(دعو) و(غزو)؛ لقولهم: (سموت) و(علوت) و(دعوت) و(غزوت)، إلا أنه لما تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفاً، فكذلك ها هنا قلبوا الواو في (أسماو) ألفاً، فاجتمع فيه ألفان: ألف زائدة، وألف منقلبة من لام الكلمة، والألفان ساكنان؛ وهما لا يجتمعان، فقلبت الألف الثانية المنقلبة عن لام الكلمة همزة لالتقاء الساكنين، وإنما قلبت الهمزة دون غيرها من الحروف وأنها أقرب الحروف إليها؛ لأن الهمزة هوائية كما أن الألف هوائية؛ فلما كانت أقرب الحروف إليها؛ كان قلبها أولى من قلبها إلى غيرها".[٢]

وهذا إثبات ما قيل بالدليل، إلا أنه هنا قد تطرق لإشارة صوتية جديدة ألا وهي مخارج الحروف؛ فذكر أن الألف والهمزة تتقاربان في المخرج فكلاهما هوائيتان، ومعنى قوله "هوائيتان" أنهما تخرجان من الجوف؛ فالألف وهي حرف مد وحروف المد تخرج من الجوف، والهمزة تخرج من أقصى الحلق من جهة الصدر فتكون الأقرب لها من دون الحروف مع الهاء التي تشاركها المخرج الواحد.

---

[١] الإنصاف: ٢١/١.

[٢] الإنصاف. ٢١/١.

وذكر الأنباري أمثلة على القلب في الحركات وحروف المد في بعض اللهجات العربية ومنها لهجة طيء، فقد استدل ببيت للشاعر يقول فيه [من الوافر]:

فما الدنيا بباقاة لحي ولا حيٌّ على الدنيا بباقٍ

قوله (بباقاة) أراد (بباقية) فأبدل من الكسرة فتحة، فانقلبت الياء ألفاً، وهي لغة طيء".[1]

"وأما الجواب عن كلمات الكوفيين أما قولهم: إنما جوزنا ترخيمه لأن في الأسماء ما يماثله نحو يد ودم فنقول: الجواب عن هذا من وجهين: أحدهما أنا نقول إن هذه الأسماء قليلة في الاستعمال بعيدة عن القياس؛ فأما قلتها في الاستعمال فظاهر لأنها كلمات يسيرة معدودة، وأما بعدها عن القياس فظاهر أيضاً؛ وذلك لأن القياس يقتضي أن لا يحذف لأن حرف العلة إذا كان متحركاً فلا يخلو إما أن يكون ما قبله ساكناً أو متحركاً، فإن كان ساكناً فينبغي أن لا يحذف كما لا يحذف من ظبي ونحي وغزو ولهو؛ لأن الحركات إنما تستثقل على حرف العلة إذا كان ما قبله متحركاً لا ساكناً، وإن كان ما قبله متحركاً فينبغي أن يقلب ألفاً ولا يحذف كقولهم: رحى وعمى وعصا وقفا، ألا ترى أن الأصل فيها رحي وعمي وعصو وقفو بدليل قولهم رحيان وعميان وعصوان وقفوان، إلا أنه لما تحركت الياء والواو وانفتح ما قبلهما قلبوا كل واحدة منهما ألفاً استثقالاً للحركات على حرف العلة مع تحرك ما قبله إلى غير ذلك مما لا يمكن إحصاؤه، وعلى هذا سائر الثلاثي المقصور، وإذا ثبت أن هذه الأسماء قليلة في الاستعمال بعيدة عن القياس فوجب أن لا يقاس عليها"[2].

فتجد في قوله السابق عدة قضايا صوتية مجتمعة؛ إذ ناقش فيها قضية القلب حيث تقلب الواو ياءً لاجتماعهما وسكون الأول منهما. ثم ذكر اختلاف الألف والواو والياء في درجة القوة؛ حيث قال بأن الياء أخف من الضمة، وسبق أن ذكر الفتحة أخف الحركات، وبالتالي يكون ترتيب حروف المد تصاعدياً من حيث القوة: الألف، الياء، الواو.

ثم تحدث عن الإدغام وكيف يدغم المتماثلان بشرط أن يكون الأول منهما ساكناً، وقد سبق ذكره.

٨) اجتزاء الحركات من حروف المد

أورد الأنباري قولاً للمبرد يذكر فيه أنه يجتزئ بالحركات عن الألف والواو والياء في ضرورة الشعر، ومنه قول الأعشى [من الكامل]:

وأخو الغوان متى يشأ يَصْرِمْهِ ويصرن أعداءً بعيد وداد

---

(١) الإنصاف: ٨٧/١.

(٢) الإنصاف: ٣٥٨/١، ٣٥٩.

فأراد ب(الغوان) (الغواني) فاجتزأ بالكسرة عن الياء ومنه [من الطويل]:

فما وجد النهديُ وجداً وجدته   ولا وَجَدَ العُذري قبل جميل

فالمراد (قبلي) وقد اجتزأ بالكسرة عن الياء. يقول: "فاجتزأ بالكسرة عن الياء كما يجتزئون بالضمة عن الواو، وبالفتحة عن الألف، فاجتزاؤهم بالضمة عن الواو كقولهم في (قاموا) (قامُ) وفي (كانوا) (كانُ)، قال الشاعر [من الوافر]:

فلو أن الأطبا كانُ حولي   وكان مع الأطباء الأساة[1]

فأراد (كانوا)، فاجتزأ بالضمة عن الواو.

واجتزاؤهم بالفتحة عن الألف نحو ما أنشدوا [من الوافر]:

فلست بمدرك ما فات مني   بلهف ولا بليت ولا لواني[2]

أراد (بلهفا) فاجتزأ بالفتحة عن الألف".[3]

ثم ذكر بعد ذلك أن هذا خاص بالشعر دون الكلام؛ لأن الشعر يضطر فيه الشاعر فيحذف. ولكنه ربما أراد بذلك الحذف فعبر عنه بالاجتزاء رغم الفارق بينهما.

٩) التصحيح في حروف المد

والمراد بالتصحيح هو معاملة حرف المد الألف والواو والياء معاملة الأحرف الصحيحة فتظهر عليه الحركات، ولا يقلب لمجانسة الحركة عليه؛ بل يعامل كغيره من الحروف الصحيحة بثبات الحركة عليه. ويقول في ذلك: "قلنا: قد جاء التصحيح في الفعل المتصرف على غير طريق الشذوذ، وذلك نحو تصحيح (حَوِلَ)، و(عَوِرَ) و(صَيِدَ) حملاً على (أحول) و(أعور) و(أصيد)، وكذلك جاء التصحيح أيضاً في قولهم: (اجتوروا) و(اعتونوا) حملاً على (تجاوروا) و(تعاونوا) فكذلك ها هنا – أفعل التعجب – حمل (ما أقومه) و(ما أبيعه) على (هذا أقوم منك، وأبيع منك) ومع هذا فلا ينبغي أن تحكموا له بالاسمية لتصحيحه؛ لأن (أفعل به) قد جاء مصححاً وهو فعل، كما أن التصحيح في قولهم: (أقوم به) لا يخرجه عن كونه فعلًا، فكذلك التصحيح في (ما أفعله) لا يخرجه عن كونه فعلاً".[4]

"وفي وجل يوجل أربع لغات أحدها تصحيح الواو وهي اللغة المشهورة"[5].

---

[1] الخصائص: ١٣٥/٣.

[2] الخصائص: ١٣٥/٣.

[3] الإنصاف: ٨٧/١.

[4] الإنصاف: ١٣٩/١.

[5] الإنصاف: ٧٨٤/٢.

١٠) إبدال الهمزة هاء

تبدل الهمزة هاء عند العرب، يقول الأنباري في ذلك: "ولا نسلم أن الهاء في قوله (لهنك) زائدة، وإنما هي مبدلة من ألف (إن)؛ فإن الهاء تبدل من الهمزة في مواضع كثيرة من كلامهم، يقال: (هرقت الماء) والأصل فيه (أرقت) و(هرحت الدابة) والأصل فيه (أرحت) و(هثرت الثوب) والأصل فيه (أثرت الثوب)، و(هبرية) والأصل (إبرية) وهو الحزاز في الرأس، و(هردت) والأصل فيه (أردت) و(هياك) والأصل فيه (إياك)، وقد قرأ بعض القراء: [إِيَّاكَ نَعْبُدُ](١)، يقول الشاعر:

فهياك والأمر الذي إن توسعت موارده ضاقت عليك المصادر(٢)

والمستخلص من هذا الكلام أنه لا فرق بين الهاء والهمزة، فهما هوائيتان كما سبق ذكر ذلك تتحدان في المخرج، وإبدال إحداهما من الأخرى لا بغير من مبنى الكلمة، وإن كان من الأفضل أن يذكر الأنباري السبب في هذا الإبدال، أو نسبته إلى القبيلة التي تتحدث به إن كان خاصاً بإحدى القبائل دون غيرها.

"وقد قال الله تعالى: [وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ] قيل أصله مؤيمن فقلبت الهمزة هاء ولهذا قيل في تفسير [وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ]: حافظاً عليه، وقيل: شاهداً، وقيل: رقيباً عليه، وقيل: قفاناً عليه، وكل هذه الألفاظ متقاربة في المعنى، فدل على أن الهاء في لهنك مبدلة من همزة"(٣).

١١) الإبدال للمتماثلات المتتالية

اختلف الكوفيون والبصريون في وزن (صمحمح) و(دمكمك) فقال البصريون على وزن (فعلعل)، وقال الكوفيون على وزن (فعلل)؛ إذ يحتجون على ذلك بأن الأصل فيها (صمحح) و(دمكك) فلما استثقلت العرب ثلاثة حروف متماثلة متوالية أبدل الحرف الثاني منهما بحرف من جنس الحرف السابق للمتماثلات فاستبدلت الحاء في صمحح ميماً لتصبح صمحمح، واستبدلت الكاف من دمكك ميماً فأصبحت دمكمك، ومنه قوله: [فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ]. الشعراء:٩٤، والأصل فيها فكببوا، ومنه قول الفرزدق [من الطويل]:

موانع للأسرار إلا لأهلها ويخلفن ما ظن الغيور المشفشف(٤)

---

(١) الفاتحة:٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ١٣٥/٤.

(٣) الإنصاف: ٢١٦/١ .

(٤) لسان العرب: ابن منظور ١٧٩/٩، ط١، دار صادر_ بيروت.

وتعتبر هذه المسألة قضية صوتية لما قام فيها من مراعاة النطق، والتسهيل على المتكلم بإبدال أحد المتماثلات المستثقل النطق بها لتواليها في الكلمة الواحدة[١].

١٢) الإدغام

سبق وذكر الأنباري الإدغام في مجمل حديثه في بعض القضايا النحوية، وتراه الآن يذكر القضية نفسها صرفية في اسم التفضيل من شر وخير، يقول: "الأصل – في خير منك وشر منك – أخيرُ منك، وأشررُ منك؛ إلا أنهم حذفوا الهمزة منهما لكثرة الاستعمال، وأدغموا إحدى الراءين في الأخرى من قولهم: (شر منك) لئلا يجتمع حرفان متحركان من جنس واحدٍ في كلمة واحدة؛ لأن ذلك مما يستثقل في كلامهم".[٢]

فالجديد هنا إن الإدغام كان في متماثلين متحركين، ولم يكن الأول منهما ساكناً كما اشترط ذلك في الإدغام من قبل، والداعي إلى هذا الإدغام هو البعد عن اجتماع متماثلين في كلمة واحدة؛ فهو مستثقل في كلامهم. وذكر أيضاً الحذف لكثرة الاستعمال، وقد أورد من ذلك الكثير في كتابه.

١٣) تخفيف الهمزة

وقع الخلاف بين البصريين والكوفيين كما ذكر الأنباري في همزة بين بين، فقال البصريون: إنها متحركة، وقال الكوفيون: إنها ساكنة، وإنما كانت الهمزة بين كراهة اجتماع همزتين، قول الأنباري: "ولهذا لم يأتِ في كلامهم ما عينه همزة ولامه همزة كما جاء ذلك في الياء والواو، نحو (حية) و(قوة)، وكذلك الحروف الصحيحة، نحو (طلل) و(شرر) وما أشبه ذلك؛ فلما كانوا يستثقلون اجتماع الهمزتين قربوا هذه الهمزة من حرف العلة، وذلك لا يوجب خروجها عن أصلها من كل وجه، ولا سلب حركتها عنها بالكلية".[٣]

من هذا الحديث يتضح أن تخفيف الهمزة ليس المقصود به تسهيلها، وإنما تخفيف الحركة عليها لتصبح قريبة من الياء أو الواو محتفظة بذاتها؛ وذلك تخلصاً من التقاء متماثلين، وإن كان الخلوص من التقاء المتماثلين بإدغامهما كما سبق، إلا أن ذلك لا يجوز في الهمزة؛ فهي ليست كالواو والياء، وليست كباقي الحروف الصحيحة، لذا بقيت على حالها مع تخفيف حركتها، مع بقاء ذات الهمزة.

---

[١] الإنصاف: ٢٨٢/٢.

[٢] الإنصاف: ٢٧/٢.

[٣] الإنصاف: ٢٣٣/٢.

ومن الجديد في هذه المسألة أن الأنباري قد أطلق على حروف المد الألف والواو والياء اسم حروف العلة.

ثالثاً: المسائل الصوتية في القراءات

كان الباعث لدراسة النحو والصرف والبلاغة معرفة كيفية التعامل مع كتاب الله U، فكان القرآن الكريم النبع الذي تفجرت منه علوم العربية نحوها وصرفها وبلاغتها، وكذلك الدراسات الصوتية لحروف القرآن صفة ومخرجاً، ولم يغفل الأنباري ذلك في كتابه فتعرض لقراءات عدة، وذكر الاختلاف فيها راداً تلك الاختلافات إلى عللها النحوية والصرفية والصوتية، وكان من القضايا الصوتية ما يأتي:

١ - الوقف

يعد الوقف من القضايا المهمة في قراءة القرآن الكريم؛ إذ تتعلق به عدة أحكام، من الوجوب والجواز والمنع لمعانٍ تفهم عند الوقف، والوقف في قراءة القرآن الكريم يخضع لقواعد وشروط تستمد جذورها من اللغة العربية التي نشأت في أحضانها، ونزل القرآن على لسان أصحابها، فمن قواعد الوقف ذكر الأنباري أن العرب تقف على تاء التأنيث بالهاء في نحو (شجرة) و(رحمة) و(سنة) فيقال: (شجره) و(رحمه) و(سنه).[١]

وقد ذكر الأنباري أن الكسائي كان يقف على التاء في (ربت) و(تمت) بالهاء، رغم أنها ليست التاء المتحركة التي للتأنيث.[٢]

ومن الوقف أيضاً الوقف على نون التوكيد الخفيفة بالألف يقول الأنباري: "والذي يدل على أن الخفيفة –النون– ليست مخففة من الثقيلة وأن الخفيفة تتغير في الوقف، ويوقف عليها بالألف، قال الله تعالى: [لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ] العلق:15، وقوله تعالى: [لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ] يوسف:٣٢ أجمع القراء على أن الوقف في هذين الموضعين (لنسفعاً، وليكوناً) بالألف لا غير".[٣]

فأحكام الوقف التي تعرض لها الأنباري لم تكن تفصيلية، وإنما كانت عارضة لبعضها، حيث ذكر الوقف على التاء المتحركة بالهاء وهو لغة العرب وتسمى في القراءات بالهمس، أي نطق التاء المتحركة هاء عند الوقف عليه، ثم ذكر حكماً خاصاً بالقرآن الكريم في كلمتين اثنتين لا

---

(١) الإنصاف: ١٠٥/١.

(٢) الإنصاف: ١٠٧/١.

(٣) الإنصاف: ٦٧/٢.

ثالث لهما، وهما (لنسفعاً، وليكوناً) وقد انتهى الفعل في كليهما بنون مخففة من الثقيلة، ولكنها كتبت تنويناً، فكان الوقف عليها بالألف وليس بالنون كباقي الحروف الأخرى.

١- نقل الحركات وتسكينها

نقل الأنباري عن بعض العرب قولهم: "إنه قد جاء عن العرب (نَعِيم الرجل) وقال هي رواية شاذة انفرد برواياتها أبو علي قطرب، والأصل فيها (نَعِمَ) بكسر العين فأشبع الكسرة حتى نشأت الياء. ومنه قول الشاعر:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

فأشبع الكسرة في الدراهم والصيارف حتى نشأت الياء، ثم قال: "فمن قال (نَعِم) –بفتح النون وكسر العين– أتى بها على الأصل كقراءة ابن عامر وحمزة والكسائي والأعمش وخلف: (فَنِعِمَّا هِيَ)[1] - بفتح النون وكسر العين – وكما قال طرفة [من الرمل]:

ما أقلت قدم ناعلها نعم الساعون في الأمر المُبر

ومن قال: (نعم) –بفتح النون وسكون العين– حذفت كسرة العين، كقراءة يحيى بن وثاب (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ)[2] بفتح النون وسكون العين، وكما قال الشاعر [من الطويل]:

فإن أهجه يضجر كما ضجر بازلٌ من الأدم دبرت صفحتاه وغاربه

أراد (ضجر، ودبرت)[3] فسكن عين الفعل، وغير هذا من الأمثلة كثير إلا أنه في قضيته هذه لم يذكر سبب حذف الحركات من الأفعال، وإنما اكتفى بأن ردها إلى القراءات التي قرئت بها، والأصل في الحذف أنما حذفت الحركات للتخفيف.

وفيما سبق تناول الأنباري قضية صوتية؛ ألا وهي إشباع الحركات فلما كانت (نعم) بكسر العين كما قرأها قطرب أشبع الكسرة على العين حتى نشأت الياء وهي من جنس الكسرة، كما سبق وذكر من قبل اختلاف النحويين في حروف المد هل هي ناتجة من إشباع الحركات أم هي حروف مستقلة. وقد جاء من ذلك رواية قطرب بالإشباع وقد وصفها الأنباري بأنها لأن الأصل بكسر العين دون إشباع.

ثم قال بعد أمثلته معقباً على ذلك: "ومن قال: (نِعِم) –بكسر النون والعين– وكسر النون إتباعاً لكسرة العين، كقراءة زيد بن علي والحسن البصري ورؤبة: [الْحَمْدِ لِلَّهِ] الفاتحة:٢، بكسر الدال

---

(١) البقرة: ٢٧١.

(٢) الرعد: ٢٤.

(٣) الإنصاف: ٢١٩/١.

إتباعاً لكسرة اللام، وكقراءة إبراهيم بن علبة [الْحَمْدُ لُلَّه]، بضم اللام إتباعاً لضمة الدال، وكقولهم: (مِنْتِن) بكسر الميم إتباعاً لكسرة التاء وكقولهم أيضاً: (مُنْتُن) بضم التاء لضمة الميم"[1].

وهنا ذكر قضية صوتية سبق التعليق عليها تختص بالحركات وهي المجانسة التي الإتباع أي تحول الحركة إلى غيرها لمجانستها، وعدم التكلف في الانتقال بينهما.

يقول الأنباري: "ومن قال: (نِعِم) بكسر النون وسكون العين نقل كسرة العين من (نعم) –بفتح النون وسكون العين– إلى النون، وعليها أكثر القراء؛ فلما جاز فيها هذه اللغات الأربعة دل على أن أصلها (نعم) على وزن (فعل)؛ لأن كل ما كان على وزن (فعل) من الاسم والفعل وعينه حرف من حروف الحلق فإنه يجوز فيه أربع لغات، فالاسم نحو: (فَخِذ) و(فِخِذ) و(فَخْذ) و(فِخْذ) والفعل نحو: (شَهِدَ وشِهِدَ وشَهْدَ وشِهْد)، على ما بينا في (نِعْم) وإذا ثبت أن الأصل في (نِعْمَ) (نَعِمَ) كانت الياء في (نعيم الرجل) إشباعاً؛ فلا يكون فيه دليل على الاسمية؛ فدل على أنهما فعلان لا اسمان، والله أعلم".[2]

وقد كان الجدير بالأنباري أن يعلل اختصاص حروف الحلق بهذه الميزة عن غيرها من الحروف، وربما كان ذلك لأنها أبعد الحروف مخرجاً؛ فإذا انتقل من الفتحة إلى حروف الحلق المكسور ثم عاد إلى الحرف المفتوح كان ذلك مستثقلاً، فكان الخلاص من ذلك بنقل حركة عين الفعل إلى فائه تسهيلا وتخفيفاً.

٢ - ألف حاشى وصلاً ووقفاً

وردت عدة قراءات لكلمة حاشا في القرآن الكريم ذكرها الأنباري فأثبت بعضها وأنكر الأخر، يقول: "إن الأصل عند بعضهم في (حاشى) بغير ألف، وإنما زيدت فيه الألف، وهذا هو الجواب عن احتجاجهم بقراءة من قرأ: [حَاْشَ لِلَّهِ] يوسف:٣١، ثم نقول: إن هذه القراءة قد أنكرها أبو عمرو بن العلاء سيد القراء، وقال: العرب لا تقول: (حاشَ لك) ولا (حاشَك) وإنما تقول: (حاشى لك)، (حاشاك) وكان يقرؤها: [حَاْشَ لِلَّهِ] بالألف في الوصل، ويقف بغير ألف في الوقف متابعة للمصحف؛ لأن الكتابة على الوقف لا على الوصل، وكذلك قال عيسى بن عمر الثقفي وكان من الموثوق بعلمهم في العربية: العربُ كلها تقول: (حاشى لله) بالألف، وهذه حجة لأبي عمرو".[3]

---

[1] الإنصاف: ١١٨/١.

[2] الإنصاف: ١٢٢/١.

[3] الإنصاف: ٢٦٢/١.

٣- التقاء الساكنين

ذكر الأنباري أنه لايمكن أن يجتمع ساكنان في الوصل إلا إذا كان الثاني منهما مدغماً، وأما قراءة ابن عامر: [وَلَا تَتَّبِعَانِّ] يونس:٨٤ بتسكين النون فذكر أنها قراءة ضعيفة تفرد بها ابن عامر، وباقي القراء على خلافها إذ الأصل فيها التشديد.(١)

الخاتمة

كانت العربية وما تميزت بها من خصائص ومزايا لم تحزها غيرها من اللغات منهلاً خصباً لا ينضب معينه لطلاب العلم والمعرفة في مختلف العصور والأزمان، وكانت الأصوات من أهم مزاياها التي عرض لها العلماء كالأنباري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين). وهو موضوع بحثنا الذي خلصت فيه إلى النتائج الآتية:

١- بدأ الباحث التعريف بصاحب الكتاب حياته ونشأته وثقافته، وكتابه ومادته ومنهجه، ومسائله الصوتية المتفرعة فيه.

٢- تمكن الباحث حصر ثماني عشرة مسألة صوتية موزعة بين مسائل الكتاب ما بين نحوية وصرفية وقراءات.

٣- حظيت المسائل الصرفية فيها بنصيب وافر؛ إذ بلغ عدد المسائل الصوتية المرتبطة بقضايا صرفية تسع مسائل، بينما كانت في المسائل النحوية خمساً، وفي القراءات أربعاً، مما يؤكد العلاقة الوطيدة بين الدراسات الصرفية والصوتية لاتفاق الاثنتين كلتيهما في دراسة مبنى الكلمة، الذي يتكون من أصوات سواء كانت صامتة أم صائتة.

٤- أثبت البحث براعة العلماء القدامى في الدرس الصوتي وإن لم يفردوا له كتباً خاصة.

٥- أن الهمزة لا تعامل كباقي الحروف الأخرى في العربية، وإنما تعامل معاملة هي أشد قرباً للتعامل مع الواو والياء؛ لتقارب المخرج وبعض الصفات.

٦- قوة العلاقة التي تربط الدرس الصوتي بالدرس الصرفي كما سبق ذكره.

٧- أكثر الأنباري من الحديث عن النقل والقلب، حتى غلبت هاتان المسألتان على معظم المسائل الصرفية.

٨- عمد الأنباري إلى الإكثار من الأمثلة الموضحة لمسائله مما يدعم رأيه ويرسي معارفه لدى القراء والدارسين، وهو من أفضل الأساليب التي تجذب الدارسين وتثريهم، وتثبت المعلومات لديهم.

٩- البعد عن المرور العارض بالمسائل دون تعريف بها وتقعيد لها.

---

(١) الإنصاف: ١٧٨/٢.

المراجع

١. أصول النحو دراسة في فكر الأنباري: محمد صالح، دار السلام، مصر، ٢٠٠٦، ط١
٢. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: جلال الدين الزر كلي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠، ط٥.
٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين القفطي تحقيق: محمد إبراهيم، ج٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦.
٤. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين كمال الدين الأنباري؛ تحقيق: إميل بعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨، ط١.
٥. البداية والنهاية:ابن كثير؛ عناية:عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، مج٨.
٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي؛ تحقيق: محمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت.
٧. البلغة: في الفرق بين المذكر والمؤنث: أبو البركات الأنباري؛ تحقيق:رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٦، ط٢.
٨. تاريخ الإسلام ووفيات مشاهير الإعلام:شمس الدين الذهبي؛ تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٩٩٨، حوادث ووفيات ٥١٧-٥٨٠، ط٢.
٩. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي دار الفكر –بيروت، ١٤٢٤هـ_ ٢٠٠٣م.
١٠. الخصائص، أبي الفتح عثمان بن جني، دار الهدى للطباعة والنشر، تحقيق محمد عاي البخاري، بيروت- لبنان.
١١. دراسات في النحو العربي: محمود أبو كته، جامعة بيت لحم، فلسطين، ١٩٨٧، ط١.
١٢. فوات الوفيات: محمد الكتبي؛ تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠، ط١.
١٣. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان؛ تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ،١٩٧٠، مج٣.

الدوريات الالكترونية:

- أبو البركات البغدادي الأنباري أثر عصره عليه وآراؤه النحوية: مجيد البديري، مجلة أهل البيت، العدد الأول، موقع أهل البيت، الجمعة ١٤-١٢-٢٠٠٧ الساعة الثالثة عصراً.
www.ahlulbaitonline.com